المحاضرة السادسة

سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري – النشأة التطورية–

نشأة وتطور سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري هي عملية تاريخية وفكرية تداخلت فيها التغيرات التكنولوجية الكبرى في وسائل الإعلام مع تطور النظريات الاجتماعية لفهم تأثير هذه الوسائل على المجتمع.

1–النشأة:

تعود الجذور الأولى لسوسيولوجيا الاتصال الجماهيري إلى التحولات الاجتماعية الكبيرة التي حدثت في القرنين التاسع عشر والعشرين، والتي شملت الانتقال من المجتمعات الزراعية إلى المجتمعات الصناعية والحضرية.

أ– الثورة الصناعية والتوسع الحضري:

أدت هذه التحولات إلى نشوء جمهور جماهيري واسع، متعلّم ولدية وقت فراغ، مما حفّز الطلب على الصحف، الكتب، والمجلات، وبالتالي ظهور أول أشكال وسائل الإعلام الجماهيرية المطبوعة.

ب–الصحافة كأول وسيلة جماهيرية:

بدأت أشكال الصحف والنشرات الإخبارية بالظهور في وقت مبكر (مثل " أكتا ديورنا" في روما قديما)، لكن الطباعة بالمتحركة التي اخترعها " جوتنبرج" في منتصف القرن 15 أحدثت ثورة حقيقية، حيث جعلت الإنتاج الضخم للمواد المطبوعة ممكنا لأول مرة.

د– الرواد الأوائل:

ظهرت الأفكار السوسيولوجيا المبكرة حول الإعلام في إطار مدرسة شيكاغو، حيث رأى مفكرون مثل جون دوي، وتشارلز كولي، وجورج ميد، أن الاتصال يلعب دورا محوريا في تعزيز الديمقراطية والتفاهم المتبادل في " المجتمع العظيم."

2 –**التطور:**

تطورت سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري عبر مراحل زمنية وفكرية متداخلة:

أ- مرحلة النظريات المبكرة (عقد 1920 - 1940):

مع ظهور وسائل الإعلام الإلكترونية مثل الراديو والسينما، حيث بدأت الدراسات الأولى تركز على القوة الهائلة المفترضة لهذه الوسائل، حيث هيمنت نظريات مثل " نظرية القذيفة السحرية" (أو الحقنة تحت الجلد) التي كانت تفترض أن الرسائل الإعلامية لها تأثير مباشر وموحد على الجمهور السلبي ،ثم تأسيس معهد تحليل الدعاية في ثلاثينيات القرن 20 كأحد أوائل الجهود لتحليل تأثير الإعلام.

ب- مرحلة النظريات متوسطة المدى (عقد 1940 - 1960):

بدأ الباحثون ومن أبرزهم بول لازارسفيلد في التشكيك في القوة المطلقة لوسائل الإعلام، حيث ظهرت " مدرسة كولومبيا" التي ركزت على أهمية العوامل الوسيطة، مثل التأثير الشخصي وقادة الرأي، وطورت نماذج مثل " نموذج تدفق الاتصال على مرحلتين."

ج- مرحلة الآثار المحدودة والجمهور النشط (عقد 1960 - 1970):

تحول التركيز البحثي نحو فهم دور الجمهور ونشاطه، ظهرت نظرية " الاستخدامات والإشاعات"، والتي تفترض أن الأفراد يختارون ويتفاعلون مع وسائل الإعلام لتلبية احتياجات معينة لديهم.

د- مرحلة العودة إلى الآثار القوية(عقد 1970 وما بعده) :

عادت بعض النظريات لتأكيد أهمية وسائل الإعلام في تشكيل الواقع الاجتماعي، ولكن بشكل أكثر دقة وتعقيدا.

ظهرت نظريات مثل " تحديد الأجندة"، " الغرس الثقافي" ،و " دوامة الصمت " والتي ركزت على التأثيرات التراكمية وطويلة المدى لوسائل الإعلام على التصورات والقيم الاجتماعية.

هـ- العصر الرقمي والإعلام الجديد (نهاية القرن 20 وحتى الآن) :

أدى ظهور الأقمار الصناعية، والانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي إلى تغيير مشهد الاتصال الجماهيري جذريا، حيث تطورت سوسيولوجيا الاتصال لمواجهة التحديات الجديدة، مع التركيز على التفاعلية والشبكات الاجتماعية وتجزئة الجمهور، ودور الإعلام في الحركات الاجتماعية والعولمة.

باختصار نشأت سوسيولوجيا الاتصال الجماهيري نتيجة للتغيرات التكنولوجية والاجتماعية، وتطورت من التركيز على التأثيرات القوية والمباشرة إلى فهم أكثر تعقيدا للعلاقة التبادلية بين وسائل الإعلام والمجتمع.